سلبيات وايجابيات حملة حسان بن النعمان الغساني على بلاد المغرب (٧٣- ٨٥ هـ /٦٩٢ - ٧٠٥م)

The Pros And Cons Of Hassan Bin Al-Numan Al-Ghassani's Campaign Against Morrocco (73-85 AH / 692-705 AD)

أ.د. هاشم ناصر حسين الكعبي [١]

Prof. Hashim Nasir Hussein Al-Kaabi

رنا فضل فرحان الاسدي [٢]

Rana Fadl Farhan Al-Asadi

الخُلاصة

لم تتحقق السيطرة الإسلامية على المغرب بحملة واحدة وإنّما بحملات استغرقت أكثر من سبعين سنة، فقد تأثر إرسال الحملات الحربية على بلاد المغرب بأوضاع بلاد المشرق الإسلامي .وكانت حملة حسان بن النعمان متوجه لما سبقتها من الحملات العسكرية إذ مكنت العرب من السيطرة التامة على بلاد المغرب وحققت رغبتهم الأكيدة في جعلها جزءاً من الامبراطورية العربية الإسلامية والدليل على ذلك استحداث إصلاحات في الجانب الإداري والمالي، وتأسيس دار لصناعة السفن وهو ما يعني دخول شمال إفريقيا حضرة الخلافة الإسلامية .

١- جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الإنسانية /قسم تاريخ.

٢ جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الإنسانية /قسم تاريخ

الكلمات المفتاحية: حملة حسان بن النعمان، بلاد المغرب.

Abstract

The Islamic control over the West hasn't achieved with a single campaign, it was made through more than seventy years, the sending of military campaign on the west has been affected with the situations of the Islamic East.

The campaign led by Hassan Bin Alnuaman was crowning the previous military campaigns, it enabled the Arabs to full control over the west and achieved their certain wish in making it as a part of the Arab Islamic empire, the proof is that, adopting modifications in the administrative and financial aspect, establishing a shipyard center, which means entering North Africa the Islamic Khalifate.

Keywords: Hassan ibn An-Numan's campaign, The Maghreb

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

إنّ أوضاع إفريقية قد تدهورت في العقدين الأخيرين من القرن السادس الميلادي بسبب الصراعات الدينية والعقدية داخل الدولة البيزنطية، وما اعتراها من فساد أداري وسياسي وتراجع هيبتها إذا أخذت تترنح تحت وطأة مشاكلها الداخلية والصراعات على السلطة، والحروب التي تخوضها على جبهات عدة خارج أراضيها . والظاهر أن هذه الأوضاع لم تكن خافية عن عيون العرب وأسماعهم بل هيأت امكانية التخطيط لضم المغرب الى الامبراطورية العربية الإسلامية بعدما أدرك العرب أنّ قبضة بيزنطة اصبحت عليه مرتخية إلى الحد الذي يمكنهم من تحريره من نفوذها السياسي وتحكمها العسكري. وسنحاول توضيح تفاصيل تلك الحملة في صفحات هذا البحث الذي تألف من خمسة محاور تحدث المحور الاول عن الاوضاع العامة في بلاد المشرق والمغرب قبيل الحملة أمّا المحور الثاني فقد تخصص في الحديث عن إتمام الفتح وسقوط قرطاجنة .بينما المحور الثالث تناول سياسة واسلوب حسان بن النعمان بالقضاء على مقاومة الأوراس للعرب المسلمين، وجاء المحور الرابع ليسلط الضوء على المسألة الثانية في صراع حسان مع (الكاهنة) تخريب المراكز الحضرية وجرى البحث في المحور الخامس عن أهم اسباب اعفاء حسان بن النعمان من ولاية إفريقية.

التمهيد:– الأوضاع العامة في بلاد المشرق والمغرب قبيل حملة حسان بن النعمان" نبذه مختصرة"

كان لمقتل زهير بن قيس البلوي ٧١هـ/٦٩٠م واقع أليم على عبد الملك بن مروان وعلى بعض المسلمين بالمشرق الاسلامي، وخاصةً أنّ نهايته كنهاية عقبة بن نافع[٣] ،لم يفت ذلك عضد عبد الملك، أو يجعله

٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٤٨؛ابن الاثير، الكامل، ج٣،ص ٢٠٩؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية ، ج١، ص١١١.

يصرف النظر عن بلاد المغرب بل زاده إصراراً على اخضاعها وارسال الحملات ولذلك اجتمع مع نفر من الصحابة، وتشاوروا فيمن يمكن انتدابه لهذه المهمة ، فاستقرّوا على اختيار حسان بن النعمان الغساني ، فقال عنه عبد الملك: "ما أعلم أحداً أكفأ بإفريقية من حسان بن النعمان الغساني" [٤].

ومن الأسباب التي جعلت عبد الملك يختار حسان ابن النعمان هو معرفة الأخير ببلاد المغرب فقد سبق إنّ دخلها سنة ٥٧هـ/٦٧٦م، وبقي بها حتى سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، زمن معاوية بن أبي سفيان[٥]، بالإضافة الى ميل عبد الملك كغيره من الحكام الأمويين الذين سبقوه الى الغساسنة الذين فرضوا أنفسهم على الدولة الأموية كمؤيدين ومخلصين لها.

وقبل الدخول في تفاصيل الحملة، من المهم عرض أوضاع المغرب والمشرق الإسلاميين قبيل تعيين حسان بن النعمان والياً على افريقية ،أي بعد مقتل زهير بن قيس البلوي ،فقد كان لمقتله ألأثر البعيد في أفريقية، فقد اضطربت أحوال البلاد المغربية واشتعلت نار الفتنة، وتعددت الزعامات وتعدد سلطانهم ورؤساؤهم وكان اعظم شوكة يومئذ الكاهنة الزناتية الجراوية ،صاحبة جبل أوراس ،والى جانب هذا الخطر فقد كان خطر آخر انتبه اليه المسلمون اثناء مقتل زهير والذي كان أقوى بأساً وأشدّ هولاً ذلك هو الخطر البيزنطي الذي استيقظ من سكونه بعد زمن طويل، هذا مالم يتوقعه المسلمون العرب، أن يظهر مجدداً في ساحة النزاع بإفريقية محاولة منه استرداد البلاد[٦].

وأما أوضاع البلاد المشرقية يومئذ فقد كانت تتخبط بها الفتن، المتمثلة في ثورات الخوارج وثورة عبدالله بن الزبير، فقد تصادف بعد مقتل زهير أنّ نزل الجراجمة الذين يسكنون بجبل اللكام :وهي سلسلة الجبال الممتدة من انطاكيا شمالاً وتعرف اليوم بجبال العلويين فاستوطنوا لبنان سنة ٧٠هـ/٦٨٩م، فظلوا بعد سيطرة العرب على بلاد الشام يتجسسون على العرب للروم وأحياناً لبيزنطة ،وكانوا يستغلون مدد الفتن في الدولة العربية ليحدثوا القلاقل وينشروا الفساد في المنطقة، الأمر الذي دفع عبدالملك إلى إصدار أمر بمحاربة الخوارج وذلك بعد أن استخلف عمر بن سعيد الأشدق على دمشق وتحصن داخل أسوارها، فاضطر عبد الملك بن مروان الى الرجوع فحاصر دمشق ثم دخلها وقتل عمرو بن سعيد[٧] ،وبعدها تفرغ لمحاربة الجراجمة من لبنان والشام، فخرج سنة ٧٢هـ / ٦٩١م لمحاربة مصعب بن الزبير فاصطدم مع جيشه في السنة نفسها ، وانتهت الموقعة بمقتل مصعب وهزيمة جيشه ، وبعدها عهد عبد الملك بن مروان وهو في الكوفة الى الحجاج

٤ – الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب،ص٤٧؛المالكي،رياض النفوس، ج١، ص٤٨؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٣٣؛الدباغ،معالم الايمان،ج١،ص٦٠.

٥ – ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ح٤،ص٣٩٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٤٠ ،٢٩٤؛ ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة، ج١، ص١٠٧.

٦ –مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ٢٣٢.

٧ – ابن خياط ، تاريخ خليفة، ص٢٦٦؛ ابن الاثير،الكامل،ج٤،ص٨٦،٩٠ .

بن يوسف بالتوجه الى مكة على رأس جيش لمحاربة عبد الله بن الزبير، إذ كانت ثورة هذا الأخير تهدد جسم الدولة الإسلامية وأمنها في المشرق ،منها عاد الخليفة الى دمشق، وقد نجح الحجاج في دخول مكة وقتل ابن الزبير في ٢٧جمادي الاخرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[٨] .

فهذه الأوضاع مجتمعة قد صرفت العرب عن مواصلة الحملات الحربية للسيطرة على البلاد المغربية مدة من الزمن، وعبر الفقي عن ذلك بقولة: " إنّ مقاومة بربر البرانس للعرب من ناحية والروم من ناحية أخرى قد صرفت المسلمين عن فتح هذه البلاد بعض الوقت يضاف الى ذلك الى أن الدولة الاسلامية في أوائل عهد عبد الملك شُغلت بالقضاء على ثورة عبد الله بن الزبير وثورات الخوارج[٩] ،وبعد أن أتم عبد الملك اختيار حسان ٧٣هـ/٦٩٢م قائداً لإتمام السيطرة المغرب جهزه عبد الملك بجيش ضخم أجمعت المصادر على أنهّ لم يدخل إفريقية جيش مثله من قبل، حيث بلغ عدده أربعين الف مقاتل[١٠]، وعبّر ابن الاثير عن ذلك بقوله : " جهّز جيشاً كثيراً...فلم يدخل إفريقية قط جيش مثله "[١١] ،كما يتفق كل من ابن عذاري والنويري على ان عبد الملك: " قدمّه على عسكر فيه أربعون الف. أقامه أولا في مصر، وقد عده لما يحدث ثم كتب اليه يأمره بالنهوض الى إفريقية "[١٢]، وبينمّا المالكي فقد قدر عدد الجيش بستة آلاف رجل[١٣] ، ربما كان كلام المالكي ممكناً، فقد انضمت حشود أخرى الى حسان وهو سالك طريق إفريقية حتى بلغ عدد الجيش أربعين الفاً.

وأمّا استراتيجية إقامة جيش حسان في مصر ثم توجهه الى إفريقية فقد كانت بسبب أنّ عمليات التوسع في المنطقة كانت تتأثر بما كان يحدث في المسرح المشرقي إذ كان محاطاً بالقلاقل والأعداء الذين بإمكانهم تهديده في أي لحظة، لذلك أخذ عبد الملك بن مروان حذره في إقامة الجيش في مصر حتى هدأت الأوضاع ثم منها وجهه الى إفريقية ،ويلاحظ أنّ الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان قد أطلق يد حسان في مصر، وأعطى له حرية التصرف في أموالها ،إذ قال النويري" ثم كتب اليه يأمره بالسير الى إفريقية "،فقال: " أي أطلقت يدك في أموال مصر فأعط من معك ومن ورد عليك من الناس واخرج الى جهاد إفريقية على بركة

٨ –الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٥ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريدج٤، ص٤١٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٢٠؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٢٦؛ الاصبهاني، حلية الأولياء، ج١، ص٣٦٢؛ الكازروني، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ،ص٨٩؛ الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص١١٠؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص١٣٤.

٩ – الفقي، تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٠، ٢١.

١٠ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢٠٠؛الرقيق، تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٦.

١١ – ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤١٥.

١٢ – ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٣٤؛النويري ، نهاية الأرب، ج٢٤،ص ١

١٣ – المالكي، رياض النفوس ،ج١، ص٤٨.

الله "[١٤] ،ومن مصر انطلق حسان متوجهاً الى إفريقية، فقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد الجيش كما اختلفوا في تحديد تاريخ خروج حسان بن النعمان من مصر الى إفريقية وعبر ابن عذاري عن هذا الخلاف بشكل واضح قائلا:"وإنّ غزوات حسان لم تنضبط بتاريخ محقق ولا فتحه لمدينة قرطاجنة وتونس ولا قتله للكاهنة "[١٥].

ويبدو أنّ سبب الخلاف في تحديد تاريخ حملة حسان بوقت معين هو كثرة حملاته ،وتشابهها وعدم وجود وثائق تثبت ذلك، مما جعل بعض المؤرخين في حيرة من أمرهم, فقد قام حسان بأكثر من حملة على بلاد المغرب، فكانت الاولى سنة ٥٧هـ/٦٧٦م،زمن معاوية بن أبي سفيان، أمّا الحملة الثانية سنة٧٣هـ/٦٩٢م وسنة٧٨ هـ/٦٩٧ م زمن عبد الملك ، فتشابهت الاحداث بشكل دقيق .ويمكن الفصل بان حسان قد سار في حملته الرئيسة لبلاد المغرب٧٤هـ/٦٩٣م، وذلك كما ذكر سابقاً أن عبد الملك قد قام بالقضاء على ثورة ابن الزبير سنة٧٣هـ/٦٩٢،فمن هنا التفت عبد الملك الى افريقية فاهتم بشؤونها، مما لاشك فيه أنّ يكون توجه حسان لإفريقية بعد مقتل عبد الله بن الزبير إذن رأي ابن الاثير هو الراجح إذ قال: " فلما قتل أبن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشاً كثيراً واستعمله عليهم على افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها في هذه السنة أي ٧٤هـ/٦٩ ٣م" [١٦].

ومنها انطلق حسان بعد أنّ تمت كل الاستعدادات من مصر بناءً على أوامر عبد الملك حسب ما ذكر آنفاً على رأس جيش كثيف ،وقيل أنّه قد انضم الى هذا الجيش قوات أخرى من المسلمين والبربر كان عددها كبيراً أيضاً ،اذ قال ابن عبد الحكم في هذا الجيش:" ثم قدم حسان والياً على المغرب، أمّره عليها عبد الملك بن مروان في سنة ثلاث وسبعين، فمضى بجيش عظيم حتى نزل طرابلس ،واجتمع اليه بها من كان خرج من افريقية وطرابلس ،فتوجّه على مقدمته محمد بن بكير بن ثروان اللواتي وزهير بن قيس البلوي "[١٧] ،يتبن من خلال ما ذكر حول الجيش وان في مقدمته محمد بن بكير بن ثروان وزهير بن قيس البلوي أن الامور قد اختلطت عند ابن عبد الحكم فكيف يكون زهير البلوي قائداً في هذا الجيش وهو قتل في ٧١هـ/٦٩٠م.

ولما وصلت هذه القوات أرض افريقية أخذت صدى كبيراً، اذ دخلت القيروان دون أن تواجه أي مقاومة تذكر، لوجود اكثرية من المسلمين فيها، وتعاطف الفئات غير المسلمة مع المسلمين ضد الروم ،وأقام بها مطمئناً دون تهديد من أي طرف أو جهة سواء من البربر أو الروم بدليل عدم ذكر المؤرخين لأي حدث

١٤ – النويري، نهاية الأرب، ج ٢٤،ص ١٨.
١٥ – ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٣٩.
١٦ – ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤١٥.
١٧ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٠.

أو قتال وانما اكتفوا بالقول :سار حتى دخل القيروان[١٨] ،ولما رأى حسان بن النعمان أنّ في قرطاجنة جموع من الروم والبربر ما لا يعد ولا يحصى ،قرر محاربة الروم في قرطاجنة عاصمتهم ومن هنا يمكن القول أن أهم ما يبرز في سياسة حسان تجاه المدن الخاضعة هو الصراع الإسلامي/ البيزنطي حول قرطاج وتخريبها، ثم الصراع الإسلامي/البربري ومسألة تخريب المدن والقرى الإفريقية في(صراع حسان مع الكاهنة)،فهنا بدأ يُعد جيشه ويجهزهم، وقد رسم لنفسه خطة يسير عليها جيشه، ثم قرر اولاً وقبل كل شيء أن يتوجه الى محاربة الروم في عاصمتهم قرطاجنة ، وبعدها يتوجه الى القضاء على عناصر المقاومة الأهلية حتى لا يجد الطرفان فرصة للتحالف ضده، ولما دخل القيروان زحف اليهم بقواته البالغة أربعين الفاً وأخذ يسأل سكانها عن أعظم سلطة سياسية في تلك البلاد فدلوه على قرطاجنة[١٩] ،ويؤيد ذلك ما عبر به السلاوي قائلاً: " لما دخل القيروان سأل الأفارقة عن أعظم ملوكها فقالوا صاحب قرطاجنة وهي المدينة العظيمة قريعة رومة وضرتها وإحدى عجائب الدنيا، وكان بها يومئذ من جموع الفرنج أمم لا تحصى، فصمد حسان واخضعها لسيطرته وقتل أكثر من بها "[٢٠].

أولاً:- حسان بن النعمان اتمام الفتح والسيطرة على قرطاجنة (٧٣- ٨٥هـ/٦٩٢ - ٧٠٥م)

بدأ حسان نشاطه بمحاصرة قرطاجنة عاصمة افريقية القديمة الحصينة وكان بها مجموعة كبيرة من الروم حاولت الفرار في المراكب الى جزر البحر، وخاصة صقلية القريبة، نظراً لشدة وطأة العرب عليهم حتى فقدوا الأمل في الصمود فتمكن حسان من دخول المدينة عنوة، فسبى وقتل منهم كثيراً وهدم من المدينة ما استطاع أن يهدمه[٢١] ،وخاصة الأسوار التي كانت في ذلك الوقت أكثر الموانع صعوبة في اقتحامها.

دخلت قرطاج تحت الحكم البيزنطيين سنة ٥٣٣م،وظلت تابعة لهم إلى غاية مقدم حسان بن النعمان ،فوجهّ إليها حملة سنة ٧٤هـ/٦٩٣م :(ولم يكن العرب قد حاربوها من قبل)،ويؤكد ذلك ما ذكره النويري في نص أورده عن قرطاجنة قائلاً: "وهي بلدة عظيمة لم تفتُح بعد ولا قدر عليها عقبة "[٢٢] ،وهذا يدفع إلى اعادة قراءة نصوص إخضاع قرطاجنة من جديد ويتبين بأن هذا صحيح فقد حاول أبو المهاجر دينار

١٨ - ابن الاثير، الكامل،ج٤، ص١٣٥؛ القلقشندي، مأثر الأنافة، ج١، ص١٣٢؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٣؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج١، ص١٥٣؛ الورثيلاني ، نزهة الأنظار، ص١٠٠؛ ابن أبي الضياف، إتحاف، ج١، ص٨٢،الباجي، الخلاصة النقية، ص٧٤.

١٩ - ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٧.

٢٠ - السلاوي الاستقصا،ج١، ص١٤٨.

٢١ - المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٤٩؛ ابن الاثير،الكامل،ج٣ ،٤١٦.

٢٢ - النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٨.

سنة٥٥هـ/٦٧٤م إخضاعها فلم يتمكن من ذلك[٢٣] ،ورأى أن من الأفضل عدم اضاعة وقته بها لحصانتها وقوة أهلها فصالحهم على جزيرة شريك وسار متابعاً فتوحاته وإن هذا هو السبب الذي جعل القادة المسلمين يسكتون عن اخضاع مدينة عريقة بأهمية قرطاجنة طيلة عملياتهم السابقة، رغم أنها ظلت:"مدينة عظيمة شامخة البناء "[٢٤] .

ولعل السبب الذي لم يجعل عقبة وأبا المهاجر ومن قبلهم يحاولون إخضاع قرطاجنة بشكل مباشر هو حصانتها ومناعتها وخوف المسلمين من الأساطيل البيزنطية، حيث كانت قرطاجنة تقع على الساحل. هذا بالإضافة إلى أنّ المسلمين لم يكونوا قد تمركزوا بالداخل بشكل قوي، وكانت أعمال القادة مكرسة في الجنوب الى حد ما، وظلت تابعة للروم إلى غاية سقوطها ،وأنها كانت محل نزاع بينهم وبين العرب لكن حسان حاصرها وضربها بالمنجنيق واستولى عليها سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م[٢٥] ، ولم يمكث حسان طويلاً في قرطاجنة الاّ قليلاً إذ عاد بجيشه إلى القيروان بغية الاستراحة والتخطيط للعمل القادم ولم يمضِ وقت طويل حتى عاد الروم وبعض البربر الموالين لهم إلى قرطاجنة، معتصمين بها مرة أخرى وعملوا على تحصينها ليتمكنوا من الدفاع عنها ضد العرب المسلمين[٢٦]

فسار حسان مدركاً مغزى عودتهم لهذه المدينة الحصينة إذ أرادوا أنّ يبقوا شوكة تضايق المسلمين ،ومركزاً يجتمعون فيه بكل قواهم ،الاّ أنّ حسان أبى ذلك وحاصرهم حصاراً شديداً حتى تمكن من اقتحام قرطاجنة، ثم طلب من المجاورين لها من الروم والبربر القدوم اليه فامتثلوا له ولبّوا طلبه فأمرهم بهدم قرطاجنة وتخريبها فهدموها وخربوها[٢٧].

لكن الامبراطور البيزنطي ليونسيوس جهز أسطولاً فنجح في استعادتها مستغلاً انهزام حسان أمام الكاهنة في (الجولة الأولى)، عن طريق حملة قادها البطريق يوحنا سنة ٧٨هـ/٦٩٧م[٢٨] ،وهنا يجب التذكير بأن حسان دخل قرطاجنة ثلاث مرات كانت الأولى والثانية منها ما بين سنة ٧٣-٧٤هـ/ ٦٩٢-٦٩٣م، قبل التقاء حسان وقتاله كاهنة جبال أوراس، والمرة الثالثة والنهائية كانت بعد قتاله الكاهنة وهزيمتها ٧٨ – ٧٩هـ/٦٩٧- ٦٩٨ م، حيث وجدها(شبه مخربّة)على حد تعبير جوليان[٢٩].

---

٢٣ – المالكي، رياض النفوس، ج١،ص ٣١.

٢٤- النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص١٨.

٢٥ – ابن الاثير، الكامل، ج٣،ص٤١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤،ص١٨؛ابن أبي دينار، المؤنس،ص٣١.

٢٦ – ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٣٥؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج١، ص١٥٣؛السّراج ، الحلل السندسية، ج١،ق٢، ص٥٥٧.

٢٧ – المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٤٨؛ابن الاثير،الكامل،ج٤،ص١٣٥؛ السّراج ، الحلل السندسية، ج١،ق٢، ص٥٥٧؛الورثيلاني، نزهة الأنظار، ص١٠١.

٢٨ – ابن الاثير،الكامل،ج٣،ص٤١٧؛ابن عذاري، البيان المغرب،ج١، ص٣٥.

٢٩ – جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ،ج٢، ص ٢٥.

وهو الأمر الذي اختلف معه فيه الدكتور سعد زغلول الذي يرى أن حسان هو الذي خرّبها[٣٠] ، وهذا تؤكده بعض المصادر العربية، إذ عبرّ عن ذلك المالكي قائلاً: " فدخلها حسان...وأرسل الى ما حولها من العمران (السكان) فاجتمعوا مسرعين فأمرهم بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها "[٣١] ، وقال الباجي في الخلاصة النقية: " وافتتحها عنوة وأمر بتخريبها واعفاء رسمها وكسر قناتها "[٣٢] ،وقد بالغ المؤرخون في هذا الخراب فقال ابن عذاري " بأنها صارت كأمس الغابر"[٣٣] ،وقال صاحب الاستقصا " ذهبت كأمس الدابر" [٣٤] ،وأرجح الروايات حول تخريب قرطاجنة تلك التي أوردها ابن الاثير قائلاً:" فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه "[٣٥] ،واتفق معه النويري:" فهدم المسلمون منها ما أمكنهم" [٣٦].

وهنا قد يطرح سؤال، وهو :هل كان هدف حسان التخريب والهدم والدمار؟ مما يؤدي إلى الافتراض أنّ مقاومة المدينة شديدة وأنها كانت تشكل تهديداً مستمراً للعرب مادامت قائمة وخاصة مدينة عريقة بتأثيرها التاريخي والحضاري الطويل وهو ما أدركه حسان فرأى من الحكمة والسداد، أن يبادر بإزالة ملك الروم وذلك بقهر قرطاجنة وإزالتها. فسار إليها ونصّب عليها الحصار وكانت قرطاجنة كثيرة الحصون منيعة. وضيق عليها ثم هاجمها بقوة وشدة مراس .فدك أساسها واحتلها عنوة وقهراً واستباحها جنده فنالوا منها مغانم كثيرة، ومما لاريب فيه أنّ حسان كان يقصد من وراء الهدم ازالة أخر آثر من آثار السلطة الرومية المسيحية، وايضاً ليأمن جانب الروم لعدم رجوعهم اليها والتحصن بها وبذلك تشكل خطراً عليهم كما وقع فعلاً عندما عادوا لاسترجاعها ،وقد أبدع السراج في عرض الأسباب التي دعت حسان إلى تخريبها حين قال: " إنّ حسان لما غزاها في أيام عبد الملك بن مروان وخربها وكسر قناتها عندما كان تحت الإسلام ان ذاك بعيداً عنها ،والحالة أن لموقعها من قلوب النصارى الموقع الأعظم لم يكن بهم غفلة عن إحياء مواتها ورجوعهم لمواساتها ، ومهما راجعوها يضاعفون في تحصينها ويعسر فكها مرة أخرى من ايديهم ،وقد فعل حسان ما فعل قطعاً لآمالهم والحالة أن وراءها فتوحات اخرى ولا يليق به تشتيت جنوده" [٣٧] ،بالإضافة الى رغبته بأن تكون هناك عاصمة واحدة وهي القيروان لكي يجمع كل قوات البلاد و السكان حول عاصمة عربية واحدة

٣٠ – سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢٢٨.
٣١ – المالكي، رياض النفوس، ج١ ،ص ٤٩.
٣٢ – الباجي، الخلاصة النقية، ص ٧٤.
٣٣ – ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٥.
٣٤ – السلاوي، الاستقصا،ج١،ص١٤٨؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص٧٤.
٣٥ – ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص ٤١٥.
٣٦ – النويري، نهاية الأرب، ج٢٤ ،ص١٨.
٣٧ – السّراج، الحلل السندسية ،ج١،ق٢،ص٥٥٧.

وهكذا أنتجت سياسة حسان الجديدة تهديم قرطاجنة تهديماً تاماً، فلم يبقِ منها شيءُ سوى أكداس الخراب، وإنّ هذا التحطيم، كان جناية على التاريخ وعلى الفن .وإذ كان تخريب المدينة عملاً عسكرياً ،فإنه خطأ تاريخي كبير ،فقد ارتبط بناء المدينة بالفينيقيين وارتبط تخريبها بالعرب المسلمين وحينما يسجل التاريخ هذين الحدثين يسجل معهما مفاهيم كثيرة لا يمكن أن يتخطاها. فقرطاج التي عرفت أمجاداً حضارية واقتصادية على مدى خمسة عشر قرناً لا يمكن أن تخرب في معارك تبادل فيها المتحاربان النصر والهزيمة ولكنها الحرب تفرض أنواعاً من التفكير المتراوح بين الصواب المؤدي إلى النصر، والخطأ المؤدي الى الهزيمة. وتؤكد في الأخير سلبياتها اللامتناهية. كان يمكن لحسان أن ينتصر في النهاية على البيزنطيين ولو أتعبوه دون أن يهدم قرطاجنة، لأن دولة الإسلام ناهضة ودولة الروم غاربة إذن قرطاجنة كانت ضحية سياسة القائد العربي حسان بن النعمان[٣٨].

وعلى الرغم من تخريب حسان لمدينة قرطاجة إلا أنّه لم يقضِ على الروم نهائياً، فقد كان بعضهم متوزعين حولها بكثرة مثل صطفورة [٣٩]، وبنزرت الأمر الذي بيّن كثرتهم وعدم زوال قوتهم بل كانت لهم مدن وحصون عامرة تجهزوا منها لقتال حسان ،وهذا ما عبّر عنه المالكي:" ثم اجتمع عليه الروم وغدوا عليه عسكراً عظيماً لا يعلمه الا الله تعالى وأمّدهم البربر وذلك في بلد تسمى صطفورة فزحف إليهم وقاتلهم قتالاً عظيماً وأصيب من أصحابه رجال كثيرون، ثم أن الله تبارك وتعالى ضرب في وجوه الذين كفروا من الروم والبربر، فانهزموا بعد بلاء عظيم فقتلهم حسان قتلاً عظيماً واستأصلهم وحمل باعنّة الخيل عليهم ،فما نزل في بلادهم موضعاً الا وطئه بخيله ،ولجأ الروم خائفين هاربين إلى مدينة باجة[٤٠] ،وهرب البربر إلى إقليم بونة "[٤١] ،وقال ابن الاثير:" ثم بلغه –حسان – أنّ الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان ،فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ،ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم الا وطئه ،وخافه اهل إفريقية خوفاً شديداً ولجأ المنهزمون من الروم إلى مدينة باجة فتحصنوا بها ، وتحصن البربر بمدينة بونة))[٤٢].

---

٣٨ – غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب،ج١،ص١٣٣؛المدني ، قرطاجنة في أربعة عصور، ص١٥٥.

٣٩ – صطفورة، مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط ،لها ثلاث مدائن، أقربها الى تونس مدينة أنبلونة ومنبجة .ينظر :أبن حوقل، صورة الأرض، ص٧٥؛ الباجي، الخلاصة النقية، ص٧٤.

٤٠ – باجة، مدينة قديمة من بناء الرومان ،تقع بين القيروان والبحر المتوسط وهي من البحر على ٢٥ميلاً ،و٨٠ميلاً أو أكثر من تونس وباجة مدينة حصينة خصبة كثيرة القمح والمياه والرخام .ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم،ص٢٢٦؛أبن حوقل، صورة الأرض،ص٧٦؛الادريسي،صفة المغرب،ص٨٣ ،١١٦.

٤١ – المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٤٩. بونة ،مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط، من بناء الرومان، وهي مدينة حصينة خصبة سميت بعّنابة لكثرة ما يجفف بها من الاعناب ،وتشتهر بالخشب وبها دواميس عددها ٢٤داموساً وكل داموس ١٣٠خطوة في عرض ٦٠ خطوة .ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٢٦؛ الادريسي، صفة المغرب،ص١١٦.١٧٧؛الحميري،الروض المعطار،ص٣١٤– ٣١٥.

٤٢ – ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص١٣٥.

ويلاحظ أنّ عبارات المالكي وابن الاثير قد تشابهت كثيراً ومع ذلك فانهما يختلفان في نقطة واحدة جعلت من يأتي بعدهما من المؤرخين يخلط في الأمر وهي أن المالكي قد ذكر صطفورة فقط[٤٣].

وبينما ذكر ابن الاثير بنزرت وصطفورة[٤٤] ، ولكن يمكن تفسير هذا الاختلاف بقول ابن حوقل بان صطفورة لها ثلاث مدن منها بنزرت[٤٥].

والظاهر أنّ اجتماع البربر مع الروم لم يكن الاّ بوجود خطر مشترك يهددهما على رأي الاستاذ عبد الكريم غرايبة في أنّ الوحدة لا تقوم الاّ بالاكراه ولا تدوم الاّ بالرضا[٤٦] ،وقد اتحد البربر مع الروم مجبورين ضد المسلمين ، لكن ما لبثوا أن تفرقوا بعد هزيمتهم لانهم غير راضين عن وحدتهم بدليل ما ورد في أقوال المؤرخين في اعتصام البربر في بونة والروم في مجّانة وبعد هذه الضربات القاسية التي وجّهها حسان للروم ومن ساعدهم من البربر عاد إلى القيروان حيث كثرت الجراح في أصحابه وأقام بها أياماً حتى عولجوا واستراحوا[٤٧].

من الاخطاء التي وقع فيها القادة المسلمون العرب ومن ضمنهم حسان أنّهم يرون في البربر خصوماً يجب أن تخضع بلادهم عنوة ولو أنهم أتجهوا الى الشواطئ حيث تمركز القوة البيزنطية وتحالفوا مع البربر في مواجهة البيزنطيين بدلاً من قتالهم لحققوا هدفين: استمالة البربر للإسلام من جهة والاستعانة بهم في القضاء على البيزنطيين من جهة أخرى وكان من الممكن تحقيق ذلك، لأنّ البربر كانوا يرغبون في التخلص من البيزنطيين لو أنهم وجدوا السبيل إلى ذلك في القائد الجديد، الاّ أنّ القادة العرب غفلوا عن هذه الاستراتيجية فكان حسان يفضّل محاربة البيزنطيين في بداية عهده ومن تحالف معهم، فأخذ يواجه خصومه جميعاً من البربر والبيزنطيين في الوقت نفسه وعلى هذا فإنّ حسان أخفق في استراتيجيته التي تعتمد على عدم مواجهة البربر والروم في آن واحد لو انه عمل على تأليف البربر لاختصر الكثير من الجهد والوقت. فالحرب ليست جميعها سلاحاً وجنداً ومجابهة ولكنها تحالف وخدعة، نجد في سيرة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ،كثيراً من الأقوال والأفعال التي تضع أسساً واضحة لبعض مبادئ الحرب وأساليبها ، وذلك رغم ما كانت تتصف به أساليب القتال ووسائله في ذلك العصر من بدائية وبساطة ، وكان منها ما يجيز المناورة ويؤمن المباغتة في القتال، كقوله: " الحرب خدعة "[٤٨].

---

٤٣ – المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٤٩.
٤٤ – ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص١٣٥.
٤٥ – أبن حوقل، صورة الارض، ص٧٥.
٤٦ – غرايبة ، محاضرات مادة تاريخ العرب الحديث لطلبة الماجستير، ص٨
٤٧ – المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٤٩؛ ابن الاثير،الكامل،ج٤، ص١٣٥.
٤٨ – البخاري، صحيح البخاري ،ج٤،ص٦٤رقم الحديث٣٠٣٠.

ثانياً:– سياسة حسان بن النعمان وأسلوبه في القضاء على مقاومة الأوراس للعرب المسلمين :

كان النجاح الذي حققه حسان بالاستيلاء على قرطاجنة عام ٧٤هـ/٦٩٣م، دافعاً له لكي يواصل تنفيذ الشطر الثاني من خطته ،وبسط نفوذه ويقضي على أي مقاومة من جانب البربر بعد أن أضعف مقاومة الروم ،وكانت المقاومة البربرية تتمثل في قبائل البربر البتر(البدو) التي تسكن جبال الأوراس، وكان أقوى جبل للمقاومة في المغرب كله وقد رأى أن التحالف بين قبائل الاوراس وبقايا الروم قد تعاظم بعد مقتل عقبة بن نافع. فلم ينتظر طويلاً حتى سيّر جيشاً للقاء الكاهنة ،التي خرجت على حد قول ابن الاثير:" غضباً لقتل كسيلة "[٤٩] ،فقد سأل حسان عن أعظم ملوك البربر، ومن اذا قتله دانت له إفريقية، وأنصاع له أهلها من البربر والروم[٥٠] ، فدلّ على امرأة " ليس بإفريقية أعظم قدراً ولا أبعد صيتاً، ولا أشد حزماً منها يقال لها الكاهنة وهي في جبل أوراس، وجميع من بإفريقية خائفون منها، والروم لها سامعون مطيعون، فإنّ قتلتها يئس الروم والبربر أن تكون لهم دولة "[٥١] ،وتختلط الحقائق التاريخية بالأسطورة في الروايات عن شخصية الكاهنة[٥٢] ،ولكنها تتفق على وجود الكاهنة "والحملة على المغرب" [٥٣] ،وعلى دورها الكبير في مقاومة المسلمين دفاعاً عن موطنها جبل الأوراس .يصف ابن خلدون حال البربر بعد مقتل زهير قائلاً : "واضطرمت إفريقية ناراً وافترق البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم وكان من أعظم شأناً يومئذ الكاهنة داهيا بنت ماتية بن تيقان ملكة جبل الأوراس وقومها من جراوتة ملوك البتر وزعمائهم "[٥٤].

ومن هنا يتضح أنّ الكاهنة كانت زعيمة جراوة فقط وكان سلطانها ينحصر على منطقة جبل أوراس، ويشير بعض المؤرخين الى علاقة الكاهنة بكسيلة وثورته فإنّ ابن عبد الحكم يدعو كسيلة بابن الكاهنة[٥٥] ، وذكر ابن الاثير أن الكاهنة ثارت لأنها غضبت .لمقتل كسيلة[٥٦] ، في حين ذكر كل من ابن خلدون والسلاوي أنّ مقتل عقبة في تهودا كان دافعه تحريض الكاهنة لكسيلة[٥٧].

أما البكري فذكر ان القائد البربري الذي حارب إلى جانب كسيلة كان نفسه قائداً لمقدمة جيش الكاهنة[٥٨] ،وعلق الدكتور مؤنس قائلاً: " ويفهم من هذه الاشارات أنّ هناك علاقة بين الحركتين، ولكنها

---

٤٩ – ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص ٤١٦.

٥٠ – المالكي، رياض النفوس ،ج١،ص ٤٩، ٥٠؛ابن الاثير،الكامل،ج٣، ص٤١٦ .

٥١ – المالكي، رياض النفوس، ج١،ص٥٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٥.

٥٢ – ابن عبد الحكم، فتوح مصروأخبارها،ص٢٠٠، ٣٥؛ الزاوي ،تاريخ الفتح العربي، ص١٠٧؛ عبد الوهاب ،خلاصة تاريخ تونس،ص٥٠.

٥٣ – ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٠؛المالكي ،رياض النفوس، ج١، ص ٥٠.

٥٤ – ابن خلدون ،العبر، ج٦، ص١٤٣.

٥٥ – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٩٨ ،١٩٩.

٥٦ – ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤١٥(نقلاً عن الواقدي).

٥٧ – ابن خلدون ، العبر، ج٧، ص٩؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص١٤٨.

٥٨ – البكري ، المغرب، ص٨.

لا تعرف طبيعتها هل هي القرابة بين القبيلتين؟ أم الشعور بالخطر المشترك، فالمؤرخون لا يوردون تفسيراً لهذه العلاقة "[٥٩] ، ومما لاشك فيه ان حسان بن النعمان لم يغفل عن التجارب السابقة للقادة المسلمين الذين سبقوه ،فقد علم مقتل عقبة وزهير على يد البربر والروم، وأدرك حجم التحدي الذي يواجه ،لذلك فقد توجه الى أكبر قوة معادية تحول دون تمكين العرب من السيطرة الكاملة على المغرب عندما سأل عن المرأة، وعرف مكانتها بين قومها خاصة، والبربر عامة فأراد أن يعاجلها في مستقرها بجبل أوراس وقد علمت الكاهنة بما كان حسان يعّد له وإلى ماذا انتهى فزحفت اليه من جبل أوراس(في عدد لا يحصى)[٦٠] ، ونزلت مدينة باغاية فأخرجت من كان بداخلها من الروم، وهدمت حصونها ظناً منها بأنّ حسان إنمّا أراد التحصن بها[٦١].

وهذا العمل الذي قامت به يدّل على حيطتها وحذرها من الداخل والخارج فهدمت الحصن لأنّها لا تعتمد بقتالها عليه ،وأرادت أن لا يستفيد منه المسلمون عاجلاً أم أجلاً ،كما أنها لم تكن متيقنة من انضمام الروم معها لذلك قامت بتشتيت شملهم لكي لا يقفوا ضدها ولو كانوا معها لما وافقوا على تهديم الحصن لأنّه وسيلتهم الدفاعية المعتادة.

وعندما وصل إلى حسان خبر ما قامت به الكاهنة في حصن باغاية لم يهتم لهدم الحصن ولم يذهب إليه[٦٢] ، وإنّما ذهب إلى مجّانة فلمّا بلغه، وجد الروم متحصنين فيه فلم يقاتلهم[٦٣] ، لكي لا يرهق جيشه، ولا يشتت قواه ، ولكي لا يعدد مهامه فهدفه الأول هو القضاء على الكاهنة ، وبالإضافة إلى سبب رئيسي وهو قربها من باغاية حيث استقرت الكاهنة فهي على بعد ٢٤ميلاً منها [٦٤]،سلك حسان الطريق خارج من القيروان إلى تبسة [٦٥]، ثم إلى مجّانة ومضى حتى أدرك قسنطينة أو قربها[٦٦]، وهناك سأل

٥٩ – مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ١٤٣ –١٤٤.

٦٠ –الرقيق ،تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٦؛ المالكي ،رياض النفوس، ج١، ص٥٠.

٦١ – الرقيق القيرواني ،تاريخ إفريقية والمغرب ،ص٤٧.

٦٢ –ابن الاثير، الكامل، ج،ص٤١٦؛النويري، نهاية الأرب،ج٢٤، ص١٩.

٦٣ – الرقيق القيرواني ،تاريخ إفريقية والمغرب،ص٤٦؛المالكي،رياض النفوس،ج١، ص٥٠.

٦٤ – الحميري، الروض المعطار،ص٥٥٨.

٦٥ – تبسه، مدينة بإفريقية قديمة أزلية ،فيها آثار ومبانٍ عربية عجيبة ،وهي حصينة خصبة كثيرة البساتين والثمار على بعد١٤٤ ميلاً من قفصة .ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٢٧؛ البكري، المغرب،ص٥٠؛ياقوت،معجم البلدان، ج٢، ص١٣.

٦٦ – وهذا يخالف ما ذكره مؤنس إذ قال : بأنّه سلك طريقاً محاذياً (وادي فكا)ومضى حتى أدرك تبسه ثم اتجه إلى الشمال الشرقي حيث النهيرات والزروع .مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢٤٧. وذلك لسبب واضح وهو أن خطة حسان الرئيسية كانت= =تهدف إلى قتال كل من الروم والبربر على حدة ،وهذا لا يأتي بسير حسان على الساحل لوجود الخطر البيزنطي هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنّ المسير لأرض الجوف أقل خطراً وأضمن وصولاً إلى قتال الكاهنة يضاف إلى ذلك أن حسان لو اتجه للساحل لاعتقد الروم إنه قادم لقتالهم وبالتالي سوف يقاتلونه ، أما مسيره للجوف ثم اتجاهه في ما بعد للساحل فدليل واضح على هدفه ،وبذلك يطمئن الروم ويتركونه يقاتل الكاهنة لأنّ مصلحتهم تتطلب ذلك ويؤكد هذا الاستنتاج ما ذكره المؤرخون بأن حسان وجنوده يشربون من أعلى النهر والكاهنة وجنودها من أسفله .الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب،ص٤٦.

عن مكان يوجد فيه الماء كي يعسكر هو وجنوده قائلاً:" دلّوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه" [٦٧]، فدلّوه على وادي يقع على أحد الأنهار كثيرة المياه يعرف بوادي مسكيانة[٦٨] ، فعسكر هو وجنوده هناك[٦٩] ، فكان اختياره الأول هذا الواد لوجود الماء ،ثم معرفته بنزول الكاهنة في باغاية[٧٠] ،وقد استمر حسان في الاستفسار عن وضع الكاهنة وجيشها فأخبروه بأنها قد قدمت وأقبلت بعدد لا يحصى[٧١].

وكما كان حسان يسأل ليتعرف على أوضاع الكاهنة في الوقت نفسه كانت الكاهنة أيضاً تعرف أوضاعه بواسطة رجالها فقال الرقيق القيرواني: "ورجعت الكاهنة إليه تريده وخرج حسان حتى خرج بين الفج والشعراء ونزل على النهر الذي يسمى بلسان البربر(بلي) ورحلت الكاهنة حتى نزلت على هذا النهر"[٧٢].

وعبر ابن عذاري عن ذلك بوضوح أكثر قائلا: "فبلغ خبرها حساناً فنزل بوادي مسكيانة، فرحلت الكاهنة حتى نزلت الوادي المذكور[٧٣]،" فكان يشرب هو وأصحابه من اعلاه وتشرب هي وأصحابها من أسفل النهر"[٧٤]، وما أن استقر الفريقان على وادي(مسكيانة) حتى صار وقت المساء فانتظروا حتى انبلاج الفجر وكانوا جميعاً مستعدين لخوض المعركة في أول النهار فقد باتوا ليلتهم وقوفاً على سروجهم[٧٥] .

وفي الصباح التقوا بالقرب من الأوراس فقاتلوا قتالاً شديداً ما سُمع بمثله قط فعظم البلاء ، وظن الناس أنه الفناء..."[٧٦] ،وصبر الفريقان في الحرب الى أن انهزم حسان ومن معه من المسلمين، وتمكنت الكاهنة من قتل العرب قتلاً ذريعاً وأسرت ثمانين رجلاً من أعيان المسلمين[٧٧] ، أكرمتهم وأطلقت سراحهم الاّ واحداً منهم يدعى خالد بن يزيد القيسي فقد اتخذته ولداً[٧٨] ، ومستشاراً[٧٩].

---

٦٧ –المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٥٠؛ الدباغ، معالم الايمان، ج١، ص٦٢.

٦٨ – وادي مسكيانة، وادي يقع بإفريقية قرب باغاية ونهر ملاق وفيه سكان فصار على شكل قرية صغيرة حصينة وخصبة وفيرة المياه والبساتين والثمار بينه وبين مجانة ٢٤ميلاً.ينظر:المقدسي ،أحسن التقاسيم،ص٢١٨؛أبن حوقل، صورة الأرض، ص٨٤؛ البكري، المغرب، ص٥ .

٦٩ – الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ،ص ٤٧؛ابن عذاري ،البيان المغرب،ج١،ص٣٦

٧٠ – الرقيق القيرواني ،تاريخ افريقية والمغرب، ص ٤٧.

٧١ – المالكي ،رياض النفوس،ج١،ص٥٠؛ الدباغ ،معالم الايمان،ج١،ص٦٢.

٧٢ – الرقيق القيرواني ،تاريخ افريقية والمغرب، ص ٤٧.

٧٣ – ابن عذاري ،البيان المغرب،ج١،ص٣٦

٧٤ –الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٧؛المالكي،رياض النفوس، ج١، ص٥٠.

٧٥ – الرقيق القيرواني ،تاريخ افريقية والمغرب ،ص ٤٧.

٧٦ – الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص ٤٧.

٧٧ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٣٦.

٧٨ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب' ص٢٢٨؛الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ، ص٤٧ يسميه في موضع واحد من تاريخه بخالد بن يزيد ،ولكن ذكره في نفس الموضع باسم يزيد بن خالد ؛ ابن الاثير، الكامل،ج٣، ص٤١٦.

٧٩ – النويري، نهاية الارب ،ج ٢٤،ص ١٩.

وبعد هذه الخسارة الفادحة كتب حسان برسالة الى عبد الملك بن مروان يخبره بما حدث وبما لاقى المسلمون من الهزيمة[٨٠] ،مبيناً له سبب ذلك بقوله: " وإن أمم المغرب ليس لها غاية ولا يقف أحداً منها على نهاية كلما بادت امة، خلفتها أمم وهم من الجهل والكثرة كسائمة النعم "[٨١].

وتابع حسان انسحابه بشكل بطيء ينتظر فلوله المنهزمة المتفرقة[٨٢] ،ويبدو أنّه كان يريد العودة الى دمشق[٨٣] ، ولكن رد عبد الملك السريع على رسالته يأمره بالمقام حيث هو[٨٤] ،عدل حسان عن رأيه بالعودة إلى دمشق ممتثلاً لأمر عبد الملك الذي قال له :" أنّه قد بلغني أمرك وما لقيت ومالقي المسلمون ،فانظر حيث لقيت كتابي هذا ،فأقم ولا تبرح حتى يأتيك أمري" [٨٥] ،وكان هذا الردّ قد وصله وهو في برقة فأقام بها[٨٦] ،ينتظر المدد من عبد الملك محافظاً على ترتيب صفوفه، مراقباً للأوضاع والأحداث بشكل مركز، لعله يعود عما قريب ويثأر لهزيمته وظل على هذا الحال حوالي خمس سنوات ،مما أجبر العرب على أن يتخلوا عن الحملات الحربية على البلاد المغربية للمرة الثالثة خلال السنوات العشر .

وكانت انطابلس ولوبية ومراقيه إلى حد أجدبية تابعة لحسان بن النعمان[٨٧] ، وهي مناطق حدودية بين مصر وبلاد المغرب ، فلوبية مدينة بين الاسكندرية وبرقة وهي تابعة لمصر[٨٨] ،أمّا مراقيه فقد قال ياقوت بأنّها أول بلد يلقاها الخارج من الاسكندرية الى إفريقية[٨٩] ، ولم يجد حسان صعوبة في الاقامة ببرقة، فقد وجد بها قصوراً فسكنها هو وأصحابه[٩٠]، وأضاف اليها قصوراً أخرى بناها[٩١] ،فسميت هذه القصور (قصور حسان)[٩٢] ،نسبة له حيث سكنها بعد أن رمّم القديم منها وأضاف اليها قصوراً أخرى الأمر الذي جعل البعض يطلق عليها فيما بعد دور حسان[٩٣].

---

٨٠ – الرقيق القيرواني ،تاريخ إفريقية والمغرب ، ص٤٧.
٨١ – ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص ٣٦.
٨٢ – الرقيق القيرواني ،تاريخ إفريقية والمغرب،ص٤٧؛ المالكي، رياض النفوس، ج١،ص٥١.
٨٣ – الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب، أو (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان لها من الأخبار، ص ١٦٨.
٨٤ – السلاوي، الاستقصا،ج١،ص١٤٨.
٨٥ – المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٥١؛الطرابلسي،تاريخ طرابلس ،ص١٦٨.
٨٦ –ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٠.
٨٧ – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها، ص٢٠٠.
٨٨ –ياقوت، معجم البلدان،ج٥،ص٢٥؛ الحميري ،الروض المعطار، ص٥١٤.
٨٩ – ياقوت ،معجم البلدان، ج٥، ص٩٤.
٩٠ – البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢١.
٩١ – البكري، المغرب،ص٨؛ المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٥١.
٩٢ – ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠٠؛ الحشائشي ، رحلة الحشائشي الى لبيا المسماة (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) أو النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية، ص ٣٩ ،١٩٥ ،١٩٦.
٩٣ – العياشي، رحلة العياشي،ج١،ص١٠١

وعلى ضوء الهزيمة فأن الكاهنة لم تلاحق حساناً للقضاء عليه والسيطرة على القيروان وغيرها بعد انتصارها لأنّ المسلمين ومنهم البربر كانوا موجودين في القيروان ،الأمر الذي يجعل قتال الكاهنة لهم غير وارد، كما أنها لم تقدم على هذه المغامرة وقد علمت أن كسيلة بقي في القيروان خمس سنوات دون أن يقوم بأي عمل يذكر، إضافةً الى أنّ همها الأكبر هو الحفاظ على أبنائها وقبيلتها وأرضها من أي خطر خارجي، وأنّ لم يأتِ حسان لقتالها لما خرجت له ،وهذا يقود الى تفنيد فكرة من قال انها قامت بغزوات مستمرة على المدن بإفريقيا والمغرب حتى تضعف المسلمين ،بل انها بعد هزيمة العرب رجعت الى منطقة جبال أوراس ،وأكثر من ذلك فأنّها أحسنت لأسرى المسلمين ،وأعادتهم الى حسان مرة اخرى[٩٤]

ثالثاً:- صراع حسان مع (الكاهنة) تخريب المراكز الحضرية :

والمسألة الثانية التي تبرز في سياسة حسان هي تخريب المراكز الحضرية ، وهي المسألة التي ركزت عليها المصادر كثيراً، ونسبتها الدراسات الحديثة إلى هذا أو ذاك والمهم في الموضوع إن توضح حيثيات هذا التخريب ،سواء كان من عمل العرب كما اعتقد بروفنسال، أم من اقتراف الكاهنة وجنودها وهذا الرأي الذي تبعه جمهور المؤرخين العرب، ملكت الكاهنة بلاد المغرب بعد أن هزمت حسان حوالي خمس سنين[٩٥]، ونفت خلالها العرب منها، ودرست الوضع وأدركت بأن حسان سيعود لقتالها، وكانت معتقدة أنّ حسان وجيشه من المسلمين يتجهون في توسعهم نحو المدائن والنواحي العامرة ،حيث الخيرات والنفائس والأموال ورأت أنّ عدوها ليس حساناً فقط بل خيرات بلادها ومدنها الجميلة التي يسعى حسان وجنوده لاستيلاء عليها ووجهت جنودها الى كل ناحية، فقطعوا الأشجار وهدموا الحصون وخربوا المدن ونهبوا الأموال حتى لا يبقى، في نظرها ما يجذب العرب اليها من مدن وذهب وفضة، وكانت هذه السياسة "سياسة الأرض المحروقة " معروفة في القديم، غير أنّ المؤرخين بالغوا بكل تأكيد ،في وصفهم للبلاد[٩٦] ، فنجد ابن عذاري قد روى عن ذلك قائلاً: "ملكت الكاهنة المغرب خمس سنين فلمّا رأت أبطاء العرب عنها ،قالت للبربر: أنّ العرب إنما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي ! فلا نرى لكم الاّ خراب بلاد إفريقية كلها، حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها إلى آخر الدهر"[٩٧].

٩٤ – المالكي، رياض النفوس، ج١،ص٥٢، السلاوي، الاستقصا،ج١،ص٥٢.
٩٥ – ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٣٦.
٩٦ – بن عميرة ، موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي ،ص٢٣-٢٤.
٩٧ – ابن عذاري ،البيان المغرب، ج١، ص٣٦.

واستجاب لها قومها من جراوة الذين يغلب عليهم الطابع البدوي، فذهبوا الى كل ناحية، يقطعون الشجر، ويهدمون الحصون[٩٨]، غير أن المؤرخين بالغوا ،في وصفهم البلاد على أنها كانت:"... ظلاً واحداً من طرابلس الى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة ، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات ولا أوصل بركات ولا أكثر مدائن وحصوناً من إقليم إفريقية والمغرب ،مسيرة ألف ميل في مثله فخربت الكاهنة ذلك كله ، وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة، فتفرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية "[٩٩] ، ثم لم يبق من هذا كله أثر، لكن ما تم من تخريب كان كافياً لإثارة الراي العام وجلب سخط السكان على الكاهنة وجنودها لدرجة أن الكثير منهم هاجروا من البلاد إلى الأندلس وإلى جزر البحر المتوسط [١٠٠].

وبغض النظر عن المبالغة التي تحملها النصوص لكن هذا لا يمنع الخراب الذي لحق بالمنطقة، ومن المحتمل أنّ تكون الكاهنة قد تنبهت لسياسة حسان الرامية للتركيز على السيطرة على المدن ولو أنها اعتقدت أن العرب يطلبون المدائن ولم تدرك أن هذه السياسة استحدثت مع حسان فقط. وقد أضّر هذا التخريب بالبرانس والأفارقة حتى اضطرهم الى الفرار وطلب المساعدة "وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة، فتفرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية "[١٠١].

وقد عبّر ابن الأثير واصفاً ما آل اليه حكم الكاهنة : "وملكت إفريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم "[١٠٢] ،ولم يلبث الاستياء أن عمّ البلاد من تصرف الكاهنة وأسرع بعض أهلها فاستغاث بحسان واستقدمه[١٠٣] ،وهو ما جعل الدكتور سعد زغلول يقول: بأنّ الكثير من البربر قد رحبّوا بحسان وأعانوه بالمال والرجال في هجومه الثاني الذي انتصر فيه[١٠٤].

ومن المحتمل أن تكون هناك أسباب آخرى دفعت الكاهنة للقيام بمثل هذا العمل التخريبي مثل إعاقة تقدم جيوش المسلمين خصوصاً في الطريق من طرابلس إلى طنجة[١٠٥] ،أو اقامة خط دفاعي ضدهم[١٠٦].

---

٩٨ – المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.
٩٩ – ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٣٦؛مؤلف مجهول :مفاخر البربر، ص٢٥٥.
١٠٠ – ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٣٧.
١٠١ – المصدر نفسه ،ج١، ص٣٦ – ٣٧.
١٠٢ – ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤١٦.
١٠٣ –الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٩.
١٠٤ – سعد زغلول ،تاريخ المغرب العربي، ج١،ص٢٢٤.
١٠٥ – عمر ، النشاط الثقافي في ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي،ص٤٥.
١٠٦ – ي. أ. بلياييف، العرب والإسلام والخلافة العربية ،ص٢٣٧.

الجانب السلبي من سياسة التخريب التي اتبعتها الكاهنة ضد المسلمين:

١- ظهور مساوئ عمرانية واقتصادية طبيعية آثر تخريب الكاهنة للبلاد عّبر عنها الرحالة بقولهم :" ومن تأمل هذه المدن والقصور الخربة بإفريقية وتداني بعضها من بعض رأى في ذلك ما يفضي إلى العجب ويستدل به على كثرة عمرانها في مواضع على اعتدال وترتيب تنبئ بأنها مغروسة "[١٠٧].

٢- تفرق القوة الكبرى الموجودة في إفريقية بشكل عام ،وبعمل الكاهنة هذا انتهى تجمع القوة الذي كان ضعيفاً ومنهاراً قبل ذلك خصوصاً عندما انتصر حسان على الروم في قرطاجنة وشردهم .

٣- حقد الجميع على الكاهنة لما قامت به من أعمال تخريبية في بلادهم وبسبب ظلمها لهم "ملكت إفريقية كلها واسأت السيرة في أهلها وعسفتهم" [١٠٨].

٤- شدة أضرار هذا التخريب على البربر من البرنس والبتر بشكل عام، ولجوء بعضهم إلى حسان مستأمنين به منضمين إليه [١٠٩].

٥- فداحة أضرار هذا التخريب بسكان البلاد من النصارى الذين كانوا يسكنون المناطق الساحلية كطرابلس[١١٠] ،وسوسة والمناطق الداخلية كالأوراس[١١١]،وبالإفارقة ممن كانوا يؤيدونها فاضطروا للفرار إلى حسان وطلب المساعدة منه وقد وضح الرقيق القيرواني ،انضمام مجموعة من النصارى لحسان بقوله: (ورحل حسان إليها فلقيه من النصارى في طريقة ثلاثمائة رجل يستغيثون به من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب)[١١٢] ، وهكذا اعتبر معظم أهالي المغرب ممن أضرتهم الكاهنة بأنّ حسان هو المنقذ الوحيد لهم .

أغارت الروم على مدينة قرطاجنة من البحر فقتلت من كان بها من المسلمين، وغنموا وسبوا ،مما أجبر المسلمين الخروج منها ،ولما وصل الخبر إلى حسان أرسل حوالي أربعين رجلاً من الأشراف الى عبد الملك يخبره ما حل بالمسلمين وبقي هو مرابطاً ينتظر رد عبد الملك [١١٣].

ويتضح من دراسة العمليات العسكرية انّ مصير المغرب كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع في المشرق، استمرت اقامة حسان في برقة قرب في المكان المسّمى قصور حسان وحين استقرت الاوضاع في المشرق

---

١٠٧ – الدرعي، الرحلة الناصرية،ج١،ص١٥٤؛السّراج،الحلل السندسية، ج١، ق٢، ص٥٣٥.

١٠٨ – ابن الاثير ،الكامل ،ج٣، ص٤١٦؛النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٩.

١٠٩ – ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠١؛الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٦؛السلاوي،الاستقصا،ج١،ص١٤٨.

١١٠ – البكري،المغرب،ص٩؛ ابن عذاري ،البيان المغرب، ج١، ص٣٨.

١١١ – ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠١؛الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٦.

١١٢ – الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٦.

١١٣ – البكري، المغرب، ص٣٧ – ٣٨؛ قطب، محمد علي، أبطال الفتح الإسلامي، ط١، دار الدعوة، الاسكندرية،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،ص٤٠.

سارع عبد الملك بإرسال المدد الى حسان وأمره بالسير الى إفريقية في اواخرسنة٨١هـ/٧٠٠م[١١٤]، ولكن من سير الأحداث يتبين أنّ سنة ٧٩هـ/٦٩٨م هي الأرجح لأنّ حساناً كان قد خسر جولته الأولى مع الكاهنة في معركة وادي مسكيانة سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، وأقام في برقة تقريباً خمس سنوات حسب ما تشير اليه المصادر[١١٥] ، بقي ينتظر أوامر عبد الملك ومما يؤكد وضوح الأحداث وتسلسلها أنّ عبد الملك لم يرسل الى حسان أي جيش بعد هزيمة سنة٧٤هـ /٦٩٣م ، مدة خمس سنوات بسبب عدم استقرار أوضاع المشرق، في قتال شبيب بن قيس الخارجي الشيباني[١١٦] ، سنة ٧٦هـ/٦٩٥م،الذي انتصر على جيش عبد الملك اكثر من مرة ،على الرغم من أنّه فَقَدَ زائدة بن قدامة الثقفي، وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث، وعتاب بن ورقاء الخ علي الرياحي والحارث بن معاوية بن أبي زراعة بن مسعود وأبا الورد النضرى، وطهمان مولى عثمان وبقي مستظهراً حتى تمكن الحجاج بن يوسف الثقفي من الانتصار والقضاء عليه سنة ٧٧هـ/٦٩٦م[١١٧].

ثم ما حدث من خروج مطرف بن المغيرة على عبد الملك بن مروان سنة٧٧هـ/٦٩٦م[١١٨]، هذا بالإضافة الى انشغاله حتى سنة ٧٧هـ/٦٩٦م بحرب الأزا رقة ، وأصاب أهل الشام ما أصاب من مرض الطاعون القاتل ٧٩هـ/٦٩٨م[١١٩] ، وبعد القضاء على المشاكل التي واجهت الخلافة تفرغ عبد الملك من جديد لشؤون المغرب ويبدو أنّ حساناً أتبع أسلوب الاستطلاع والحذر هذه المرة وانتهج تأليف البربر فعمل على استثمار الموقف لصالحه خاصةً وأن البربر والروم المتضررين من سياسة الكاهنة قد اتصلوا به مستغيثين مما نزل بهم طالبين منه الإسراع لحرب الكاهنة، فسّر حسان ذلك ولم يتأخر بالكتابة فكتب الى خالد بن يزيد العبسي مع رجل يثق به لم تذكر المصادر اسمه وأنّه بربري لان الكاهنة منعت دخول العرب ليستطلع من خلال خالد على وضع الكاهنة ،فأجاب خالد بن زيد على ظهر الكتاب: "البربر متفرقون لا نظام لهم

---

١١٤ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٠؛البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٣٢٠؛ الرقيق القيرواني،تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٩؛ابن الاثير،الكامل، ج٣، ص٤١٦ .

١١٥ – الرقيق القيرواني ،تاريخ إفريقية والمغرب،ص٤٩؛ ابن الاثير ،الكامل، ج٣، ص٤١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج١، ص٣٦؛ ابن خلدون، العبر ج٦،ص١٤٣.

١١٦ – شبيب بن قيس الخارجي الشيباني ،وهو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني أبو الضحاك، خرج في الموصل مع صالح بم مسرح أحد خوارج الصفرية ،على الحجاج بن يوسف الثقفي ،فقتل صالح ونادى بالخلافة لنفسه فبايعه حوالي ١٢٠شخصاً كاد شبيب يهزم الحجاج لولا تدخل عبد الملك من الشام بجيش بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي ،وفرّ شبيب وذكر أنه مات غرقاً. ينظر :البلاذري، أنساب الأشراف،ج٨،ص١٧؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٧٥؛ الملاح، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٤،ص٢٢٥.

١١٧ – ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٤، ص٦٢-٧٢؛ ابن الكثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٤.١.٢١.

١١٨ – الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٦،ص٣٠٠،٢٢٨؛ابن الاثير،الكامل،ج٣، ص ٤٦٥.٤٦٩.

١١٩ – الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٦،ص٣٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩،ص٢٩.

ولا رأى عندهم ،فاطوي المراحل ،وجد في السير" [١٢٠]، وموه الكتاب حتى لا تتمكن الكاهنة من الوصول إليه فينكشف أمره ويعرف سره، ويفقد مكانته عندها وهو الذي اختارته ليكون أخاً لولديها[١٢١] .

ولقد أحيطت هذه الرسائل المتبادلة بين حسان وخالد بن يزيد بهالة من الخيال تبين غرابة الملكة البربرية، وكيف أنّها كانت تستشعر الخطر الذي يهددها وقومها، عندما كانت تخبرهم في كل مرة يرسل خالد رسالة الى حسان، ويعمد الى إخفائها برغيف خبز ،أو سرج حصان .كانت تستنجد بشياطينها لمعرفة مكان الخطاب ،وتدعو أتباعها بتقفي الأثر لاتقاء الخطر الذي تستشعر وتتنبأ بوقوعه[١٢٢] ، ويستنتج من الروايات ان الكاهنة كانت متخوفةً من العرب وبعكس ما حدث عند دخول حسان للمرة الأولى الى إفريقية لمس المسلمون في تقدمهم الثاني تعاطفاً وقبولاً من الأهالي. وصور الموقف ابن الاثير إذ قال: " فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ،ويشكون اليه منها ،فسّره ذلك وسار الى مدينة قابس فلقيه أهلها بالأموال والطاعة ،وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الأمراء ، وجعل فيها عاملاً وسار إلى قفصة ليقترب الطريق، فأطاعه من بها، واستولى عليها وعلى قسطلييه ونفزاوة وقد بلغ الكاهنة قدومه" [١٢٣]

والظاهر أن جماعات من البربر انضمت الى حسان ولعل ذلك يدل على الارتياح الى سياسته في حين بدأ الانقسام في صفوف أتباع الكاهنة [١٢٤] ،ولم تستسلم بل خرجت في جيشها من جبل أوراس [١٢٥]،كما فعلت في المعركة الأولى سنة٧٤هـ/٦٩٣م، للقاء حسان خارج أرضها حتى لا يقتحم حسّان مدنها ويصيب أهلها وقومها هذا من ناحية، وحتى تتخذ موقعاً استراتيجياً تقاتل فيه حسان من ناحية أخرى، وقبل نشوب المعركة أرسلت الكاهنة ابنيها مع خالد بن يزيد الى حسان ليعطيها الأمان، فقد ذكر ابن عبد الحكم : " بأنّ الكاهنة أحضرت خالد وقالت له: اني كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم ،وأنا مقتولة فأوصيك بأخويك

١٢٠ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٠؛ابن عذاري ،البيان المغرب،ج١،ص٣٧.

١٢١ – الرقيق، القيرواني ،تاريخ افريقية والمغرب،ص٤٧،تذكر المصادر أنّ الكاهنة قد أسرت ٨٠ رجلاً وكان من بينهم خالد بن يزيد القيسي والذي يعتبر من المقربين الى حسان بن النعمان ،ثم أطلقت سراح الأسرى ماعدا خالد لأعجابها به وبشجاعته وذكائه فقررتّ انّ تتخذه ولداً لها ،فقالت الكاهنة: ما رأيت من الرجال أجمل منك ولا أشجع وأنا اريد ان أرضعك فتكون أخاً لولدي، فقال لها: (كيف يكون ذلك وقد ذهب عنك الرضاع) ،قالت: نحن جماعة البربر لنا رضاع إذا جعلناه نتوارث به (فعمدت الى دقيق شعير مقلو بزيت وهو ما يعرف(بالبسيسة) وجعلته على ثديها فدعت ولديها وخالد وقالت: كلا معه على ثدي ثلاثتكم (فعندما أكلوا قالت : إنكم قد صرتم إخوة) . ينظر، المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٥٢؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٣٦؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج١، ص١٥٤– ١٥٥؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص١٤٩؛مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص٢٥١.

١٢٢ – ابن خلدون، العبر، ج٧، ص١٤.

١٢٣ –ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤١٧.

١٢٤ – الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص٤٨.

١٢٥ – الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٧

هذين خيراً ،فقال خالد: اني أخاف إن كان ما تقولين حقاً الا يستبقيا؟ قالت: بلى ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأن منه اليوم... فلقي حسان فأخبره وأخذ لابنيها أماناً "[١٢٦].

وذكر ابن الاثير قائلاً: وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم:" اني مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لأنفسكم منه أماناً، فسارو اليه وبقوا معه "[١٢٧] .

وقال ابن عذاري:" فرحل حسان بجنوده اليها ... قالت لابنيها:(إنيّ مقتولة) !وأعلمتهم أنّها رأت رأسها مقطوعة موضوعاً بين يدي ملك العرب الأعظم الذي بعث حساناً .فقال لها خالد : فارحلي بنا وخلي له البلاد! فامتنعت ورأته عاراً لقومها .فقال لها خالد وأولادها: فما نحن صانعون بعدك؟ أمّا انت يا خالد! فستدرك ملكاً عظيماً عند الملك الأعظم !وأمّا أولادي فيدركون سلطاناً مع هذا الرجل الذي يقتلني ويعقدون للبربر عزائم !،ثم قالت: (اركبوا واستأمنوا إليه) ،فهرب خالد وأولادها في الليل، وتوجهوا الى حسان فاخبره خالد بخبرها "[١٢٨].

وتُعرض هذه الروايات من أجل إثبات أن الكاهنة فعلاً وقفت هذا الموقف الغريب ،فأرسلت ولديها الى عدوها ليأخذوا الأمان ،بينما هي تستعد لقتاله، وهو موقف يحتاج الى توضيح وذلك من خلال استعراض أقوال الدراسات الحديثة حول ذلك فقد قال جوليان: "إنّ ما عملته الكاهنة مع أولادها صنيع طبيعي للقائد البربري الذي يضع سلطان عائلته على القبيلة فوق كل اعتبار" [١٢٩] ،وقال لقبال :" ولاشك في أن هذا الموقف المتناقض من الكاهنة ليدلّ من جهة على الفروسية والاستعانة للدفاع عن قضية وطن بالعدوّ ومن جهة أخرى على ايثارها الخير والسلامة لمن أخلصت الحب لهما طيلة حياتها "[١٣٠].

وقال بن عميرة: " ومن يتأمل كلام ابن عبد الحكم يجده أنّه لا يتماشى مع المنطق السليم، إذ من الصعب أن يقتنع انسان بتصرف كهذا يصدر عن قائد او رئيس يرضى لبنيه ما لا يرضاه لنفسه او لجيشه، اللهم إلاّ اذا كان مجنوناً أو درويشا حتى لوكان الأمر كذلك فهذا يجلب إليه سخط جنوده ورجال دولته وبالتالي تخليهم عنه "[١٣١]،

ثم أضاف موضحاً أنّ عمل الكاهنة هذا ينحصر في أمرين: إمّا الجنون وإمّا الخيانة. لذلك أستنتج ابن عميرة بأنّ خروج أبناء الكاهنة مع خالد ما كان الاّ نتيجة لنشوء علاقة بينهم بعد التأخي ،وأدتّ الى تفاهمهم وتقاربهم، وإقناعهم بالإسلام عن طريق خالد بن يزيد فأسلما على يديه وأخفيا ذلك عن قومهما

١٢٦ – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص٢٠١.
١٢٧ – ابن الاثير، الكامل،ج٣،ص٤١٧.
١٢٨ –ابن عذاري ،البيان المغرب، ج١، ص ٣٧– ٣٨.
١٢٩ – جوليان ،تاريخ افريقيا الشمالية، ج٢، ص ٢٦.
١٣٠ – لقبال ، المغرب الاسلامي، ص٦٦.
١٣١ – بن عميرة؛ موقف الكاهنة من الفتح الاسلامي،ص٢٤.

لتجنب ما يمكن أن ينجم عن ذلك من مشاكل[١٣٢].وتقدم حسان الى الكاهنة ومعه خالد وولدي الكاهنة الذي عقد إلى أكبرهم جماعة من البربر البتر، التي لجأت اليه عندما خربت الكاهنة مزارعهم وصل حسان الى الكاهنة وكان اللقاء رهيباً ظن الناس أنّه الفناء. فأدركت هزيمتها فهربت من الصراع[١٣٣] ،فلحق بها حسان الى طبرقة. ولجأت الى احدى القلاع فوجدتها لاصقة في الأرض ثم عمدت الى جبال الأوراس، فلحقها حسان فقتلها في مكان يعرف بـ (بئر الكاهنة) سنة ٨٢ هـ/٧٠١م[١٣٤] ،وبمقتل الكاهنة انتهت أصعب مرحلة واجهها العرب في السيطرة على المغرب عامة والأوراس خاصة، وتحقق ما كان حسان يروم اليه من أن قتل الكاهنة أو أي ملك يحكم البربر كفيل بإخضاع المنطقة كلها لسلطان المسلمين وهو الأمر الذي حدث. فقد أصبح الوضع متاحاً أمام القادة المسلمين لإقرار هيمنة الاسلام على المغرب الأوسط، كما سيكون الأوراس منذ هذه الفترة معبراً للقادة للمسلمين الى المناطق الأخرى كما قال: (ElSENBETH) من أن نكسة ملكة الأوراس دفع القبائل اليهودية من البربر دفعاً إلى اعتناق الإسلام، ثم يتحول سكانه فيما بعد إلى مذاهب الخوارج في المغرب الأقصى[١٣٥].

ذكر ابن خلدون بعد انتصار حسان على الكاهنة: أن حساناً قد استأمن اليه البربر على الإسلام والطاعة ،على ان يكون منهم أثنا عشر ألفاً مجاهدين معه ،فأجابوه وأسلموا ،وعقد للأكبر من ولد الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل أوراس [١٣٦]

فقالوا: " لزمنا الطاعة له سبقناه اليها وبايعناه عليها "[١٣٧]، وأصطحب حسان معه ابني الكاهنة ، فأرسلهم الى مختلف النواحي يقمعون كل من لم يذعن من البربر والروم.

ومع هزيمة الكاهنة وخضوع الأوراس للمسلمين يبدأ البربر مهمة جديدة تتمثل في مشاركتهم في نشر الاسلام في المغرب أسوة بالعرب الحاكمين ،بعدما حاربوه خمس وخمسون سنة ،كما أتت السياسة المعتدلة التي سار عليها حسان مع الأهالي ،والمتمثلة في التسوية بينهم وبين العرب في الفيء ،وتحميلهم مسؤولية المشاركة في القيادة قد آتت أكلها، وأثمرت في استقرار الاسلام في المنطقة كلها وهي السياسة التي بادر الى تنفيذها من قبله أبو المهاجر دينار, ومنذ ذلك الحين استقر العرب بالأوراس وسكنوا حواضره الكبرى ،كما بدأ الإسلام في اكتساب مسلمين جدد وأنصارٍ كثر سيعملون على نشر الإسلام بين البربر.

---

١٣٢ – المرجع نفسه ، ص ٢٥.

١٣٣ –المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٥٦؛ابن الاثير، الكامل،ج٣، ص٤١٧.

١٣٤ – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠١؛ المالكي، رياض النفوس، ج١،ص٥٦.

135 - Maurice EISENBETH,les Juifs esquisse histoirique depuis les origins jusqu'a nos jours ,p.148-149

١٣٦ – ابن خلدون ،العبر، ج٦،ص١٣٤.

١٣٧ –المصدر نفسه،ج٦،ص١٣٤.

ولما أستقام الأمر لحسان وخضعت له جموع البربر، بدأ بالتفكير جدياً في تنظيم شؤون إفريقية ،وفي مقدمتها الخراج وملكية الأرض: "ودانت له إفريقية فدونّ الدواوين وصالح من القى بيده من الخراج ،وكتب الخراج على عجم إفريقية وعلى من اقام معهم على الديانة النصرانية- من الروم والبربر"(١٣٨) ،ورجع إلى عبد الملك في دمشق، ثم عزل عن ولاية إفريقية سنة ٨٥ هـ/٧٠٤م(١٣٩).

هكذا حسم حسان الصراع داخل المدن وليس البوادي ،ولكن لا يعني هذا أنّ البوادي كان من السهل السيطرة عليها ،ومن ثمَّ لا نقلل من دور البادية في هذه الأحداث لكن البوادي غالباً ما تتبع لمركز حضري معين، وحسم الصراع ينتهي في هذا المركز الحضري.

رابعاً:- أعفاء حسان بن النعمان عن ولاية إفريقية(٨٥هـ/٧٠٤م)

إن القادة العرب لم يجبروا أحداً على اعتناق الإسلام، وأكتفوا بأخذ الجزية ممن لا يريد اعتناقه(١٤٠) ،وقد سار على سياستهم عمالهم وقادتهم الذين عمدوا إلى إرضائهم عن طريق إرسال كميات كبيرة من الغنائم والسبي من المناطق التي سيطروا عليها (١٤١) ،وهذا يظهر بوضوح أثناء ولاية حسان بن النعمان الذي عاد الى المشرق وهناك كثير من النصوص التي تؤكد ذلك منها ما رواه المالكي قائلاً:"...ثم رحل حسان بمن معه من السبي والغنائم والأموال إلى عبد الملك بن مروان وكان معه خمسة وثلاثون الف رأس من سبي البربر، وكان معه الذهب ثمانون الف دينار فجعلها في قرب الماء حياطه عليها "(١٤٢).وهو الأمر الذي أدى الى الخلاف بينه وبين والى مصر عبد العزيز بن مروان حينما بلغ عبد العزيز ما وصل اليه حسان بن النعمان من حكم وجاه فأخذ يضّيق عليه ويدعي أنه يحاول الاستقلال عن الدولة الأموية فقرر عزله واستدعاءه إليه فكان ذلك من خلال إرسال أربعين رجلاً من أشراف أصحابه أو أمرهم أن يحتفظوا بكل ما معه(١٤٣).

ومن خلال هذا التصرف الذي قام به عبد العزيز فهم حسان ما كان يريده فعمد إلى كل ما كان معه من الجواهر والذهب والفضة فجعله في قارب فأظهر ما دون ذلك من الأمتعة والدواب والرقيق فلما وصل مصر أهدى له مائتين جارية من خيار ما معه (١٤٤) ،وتقول بعض المصادر أن حسان طلب من عبد العزيز أن يختار مائتين مما يعجبه من الجواري والغلمان(١٤٥) ،واصل حسان طريقة إلى مركز الخلافة مع ما تبقى

---

١٣٨ – ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، ص٦٤- ٦٥؛ الجنحاني ، نظام ملكية الارض في المغرب الإسلامي في القرون ١-٦هـ/٧-١٢م ، ص٣٧.

١٣٩ – ابن خياط، تاريخ خليفة،ص٢٧٦؛ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٣.

١٤٠ – العلي ،صالح احمد ، الفتوحات الإسلامية، ط١،شركة المطبوعات للتوزيع ،بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م، ص٤٧.

١٤١ – الجنحاني ،دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ،ص٢٤ ،٢٥، ٢٧.

١٤٢ – المالكي، رياض النفوس،ج١،ص ٥٧؛ مدلل ،السبي في صدر الإسلام ،ص ٢٨.

١٤٣ – الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا،ص٨٣؛ بن عميرة ،الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص١٥٢.

١٤٤ –ابن الابار، الحلة السيراء،ج٢،٣٣٢؛ابن عذاري ،البيان المغرب،ج١،ص٣٩.

١٤٥ – الرقيق القيرواني، فتوح إفريقية والمغرب،ص٥١؛ السلاوي، الاسقصا، ج١، ص١٥٠.

معه من سبي وجمال وأنعام حتى وصل إلى الوليد ابن عبد الملك فشكا ما فعله به عمه عبد العزيز فغضب عليه[١٤٦] ، أمر حسان من كان معه بإحضار قارب الماء فأفرغه بين يدي الوليد فرى ما استعظمه من اصناف الجواهر واللؤلؤ والذهب وشكره على كل ما فعله ووعده أنه سوف يعيده إلى عمله[١٤٧] ،فقال حسان " يا أمير المؤمنين إنّما أنا خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي من خان الله والخليفة " قال الوليد: " ردك إلى عملك وأحسن إليك ،فحلف حسان أنه لا يلي لبني أمية ولاية أبداً "[١٤٨] ، ويبدو أن لهذه المغانم الكبيرة تأثيراً سلبياً على حسان وعلاقته مع والي مصر عبد العزيز ابن مروان وأدت إلى عزله بعد ما قام به من انجازات إذ تعد غزوة حسان بن النعمان من أنجح الغزوات العربية الإسلامية لأنّها تمكنت من تشبث العرب بالبلاد ورغبتهم الأكيدة في جعلها جزءاً من الامبراطورية العربية الإسلامية .

المصادر والمراجع:–

أولاً: المصادر:–

- الادريسي، محمد بن محمد عبد الله الشريف (ت:٥٦٠هـ /١١٦٤م)، صفة المغرب وأرض السودان والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،مطبعة بريل، ليدن،١٩٦٨ م.
- الاصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن اسحاق (ت:٤٣٠هـ/١٠٣٨م)،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.
- الاصفهاني ،حمزة بن الحسن (ت:٣٦٠هـ/٩٧٠م)،تاريخ سني ملوك الارض، جامعة إشاعة العلوم للنشر، مطبعة مظهر العجائب،(د. م)، ١٨٢٢م.
- الأنصاري ،الحافظ صفي الدين أحمد بن عبدالله (ت:٩٢٣هـ/١٥١٦ م)،خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مكتبة المطبوعات الاسلامية، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن أعثم الكوفي، أحمد بن اعثم(٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١،دار الأضواء، بيروت ـ لبنان ،١٤١١ هـ.
- ابن الابار، محمد بن عبدالله (ت:٥٩٥هـ/١٢٦٠م)،الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ م.

١٤٦ – الرقيق القيرواني ،فتوح إفريقية والمغرب،ص٥٢؛ ابن عذاري ،البيان المغرب، ج١، ص٣٩.

١٤٧ السلاوي،الاستقصا،ج١،ص١٥٠؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب،ص٢٦٥.

١٤٨ – الرقيق القيرواني ،فتوح إفريقية والمغرب،ص٥٢؛ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٣٩.

- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الملقب بعزالدين (ت:٦٣٠هـ /١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ، راجعه : محمد يوسف الدقاق، ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ،١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.
- الباجي، محمد الباجي ابن ابي بكر المسعودي(ت:١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) ، الخلاصة النقية في إمراء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ،ط١،دار الافاق العربية،القاهرة،٢٠١٢م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١،دار طوق للنشر،(د. م) ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر(ت:٤٢٩هـ /١٠٣٧م) الفرق بين الفرق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان، (د.ت).
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز،(ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م)،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، مطبعة المثنى ، بغداد ،١٨٥٧م.
- البلاذري، أنساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دائرة المعارف بمصر، القاهرة،١٩٥٩م.
- بن خياط، خليفة (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)،تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق اكرم ضياء العمري ، ط٢،دار طيبة ،الرياض ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- التطواني، أبو العباس أحمد الرهوني(ت:١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)،تقريب الأقصى من كتاب الاستقصا، مطبعة ايد يطولال اسبانو، افريكانا ، تطوان،
- ابن تغري بردى الاتابكي،: جمال الدين ابو المحاسن (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١،(بلا. م. ن)، القاهرة ،١٣٤٨ هـ/١٩٢٩م.
- الجزنائي، أبي الحسن علي(كان حياً٧٦٦هـ)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور ط٢،المطبعة الملكية –الرباط، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- أبن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت ، ١٩٨٩م.
- الحشائشي ،محمد بن عثمان التونسي(ت:١٣٣٤هـ/١٩١٥م)،رحلة الحشائشي الى لبيا المسماة (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)أو النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية، تحقيق: علي مصطفى المصراتي، ط١،دار لبنان، بيروت ـ لبنان ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- الحميدي، محمد بن ابي نصر(ت:٤٨٨هـ/١٢٢٨م)،جذوة المقتبس ، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله القريشي المصري(ت:٢٥٧هـ /٨٧٠ م)، فتوح مصر وأخبارها مطبعة بريل، ليدن،١٩٣٠م.
- ابن عبد الحكم ،فتوح إفريقية والأندلس، حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٦٤م.
- الحميري: أحمد بن عبد المنعم (ت:٨٦٦هـ/١٤٦١م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس ،دار لبنان ، بيروت ، (د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ /١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار وأخرون ، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الدرعي ،أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر(١١٢٩هـ/١٧١٧م)،الرحلة الامارات العربيه،ط١١،٢٠١١م.
- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن(ت :٩٩١هـ/١٥٨٣م)،تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس، المطبعة الموهبية ،مصر،١٩٠٥م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت:٢٨٢هـ/٨٩٥م) ،الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم واخرون،ط١،وزارة الثقافة والارشاد القومي،(د.م)،١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م
- ابن أبي دينار، أبو عبدالله الشيخ محمد بن (ت:١٠٩٢هـ/١٦٨١م)،المؤنس في اخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس ،١٢٨٦ هـ/١٨٦٩م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد(ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب، الأرناؤوط وآخرون ،ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١،دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- أبن عبد رب: أبو بكر احمد بن محمد (ت:٣٢٨هـ/٩٣٩م)،العقد الفريد ،تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط١،دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الرقيق القيرواني، أبو اسحاق ابراهيم(ت ٤١٧هـ/١٠٢٦م)،تاريخ افريقية والمغرب ،تقديم وتحقيق وشرح، محمد زينهم محمد عزب،ط١ ، دار الفرجاني، القاهرة ،١٤١٣ هـ/١٩٩٤م.

- ابن أبي زراع، ابو الحسن علي ابن عبدالله(ت:٦٢٦هـ/١٣٢٥)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور، الرباط،١٩٧٢م.
- السراج، أبو عبدالله محمد بن محمد الاندلسي المعروف بـ (الوزير) (ت:١١٤٩هـ /١٧٣٦م)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق: محمد الحبيب السهيلة، ط١،الدار التونسية، تونس،١٩٧٠م.
- السلاوي، احمد بن خالد الناصري(ت:١٣١٥هـ/١٨٩٧م)،الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري وأخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ابن أبي الضياف ،أحمد بن أبي الضياف (ت:١٢٩١هـ/١٨٧٤) ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق ونشر : لجنة من كُتاب الدول للشؤون الثقافية والأخبار طبع في المطبعة الرسمية بالجمهورية التونسية،١٣٨٣هـ/١٩٦٣ م.
- الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م)،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: محمد عوض وآخرون، دار المعارف ، مصر،(د.ت).
- ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (كان حياً في سنة٧١٢ هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان، أ.ليفي بروفنسال، مطبوعات آ.ج بريل، هولندا ،١٩٤٨م.
- ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت:٥٧١هـ /١١٧٥م)،تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق :عبد القادر بدران،ط١، دار المسيرة ،بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
- العياشي، عبد الله بن محمد(ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)،رحلة العياشي، حققها وقدم لها: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، دار السويدي ، الامارات العربية المتحدة ، ط١، ٢٠٠٦ م.
- القرطبي :أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م)،القصد الأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ،١٣٦٠ هـ/١٩٦٦م.
- القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي (ت:١٠١٩هـ/١٦١٠م)أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت) .
- القلقشندي، الشيخ أبو العباس أحمد ،مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت،(د.ت).

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط١، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت:٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ،تحقيق: مصطفى جواد وآخرون، المطبعة العامة للطباعة والنشر، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت:٧٣٣هـ/١٣٢٣م) نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان،(د.ت).
- ابن ماجة ،أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: بشار عواد معروف، ط٢، دار الجيل، بيروت –لبنان ، ١٤١٨/١٩٩٨م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد الإفريقي المصري (ت:٧١١هـ /١٣١١ م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،(د.ت).
- ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق :أحمد راتب حموش وأخرون، ط١، دار الفكر، دمشق،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- المالكي، أبو بكر عبد الله (ت: نهاية القران الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي)، رياض النفوس، تحقيق: بشير البكوش وآخرون، ط٢، دار العرب الإسلامي ، بيروت . لبنان ،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجواهر، قدمه: مفيد محمد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت،(د.ت).
- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ/٨٧٤م) ، الجامع الصحيح ، طبعة كتاب التحرير، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- المقدسي: مطهر بن طاهر(ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، البدء والتاريخ، باريس،١٩١٦ م، اعادت مطبعة المثنى طبعه بالاوفست ، بغداد.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد أبو بكر المعروف بالبشاري (ت: الربع الاخير من القرن الرابع الهجري/الربع الاخير من القرن العاشر الميلادي)،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط٢،مطبعة بريل ،ليدن ، ١٩٠٦م.
- المؤلف مجهول (من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،١٩٨٥م .

- المؤلف مجهول ، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الدار البيضاء ،٢٠٠٥م.
- الورثيلاني: الحسين بن محمد (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م.
- اليافعي، أبي محمد بن عبدالله اسعد بن علي بن سليمان (٧٦٨هـ/١٣٦٦م) ، مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،وضع حواشيه، خليل المنصور، ط١،دارالكتب العلمية مصر، بيروت ـ لبنان،١٤١٧ هـ/١٩٩٧م .
- ياقوت، شهاب الدين ابو عبدالله الحموي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،معجم البلدان، تحيق: فريد عبد العزيز الجندي ،دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت:٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي ،ط١،دار الكتاب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

ثانيا–: المراجع الحديثة العربية والمترجمة

- أ.ف ،غوتييه، ماضي شمال افريقيا ،ترجمة: هاشم الحسيني ،مؤسسة تاولت الثقافية، (د.م)، ٢٠١٠ م.
- الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق : أحمد بن ميلاد واخرون، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت ـ لبنان،١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
- الجنحاني الحبيب ،دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط١،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، ١٩٨٦م.
- جوليان ،شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء الى الفتح الإسلامي ٦٤٧م ، تعريب : محمد مزالي وأخرون، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٣ م.
- دبوز، محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير،(بلا. د.ن)،(د. م)، ١٩٦٤م.
- سعد زغلول، عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)،منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- الطرابلسي ،تاريخ طرابلس الغرب،ص١٣؛أحمد بك الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة طرابلس الغرب ، ليبيا،(د.ت).
- عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس ،ط٣،مطبعة دار الفنون ، تونس،.١٩٨٧م.

- العلي ،صالح احمد ،الفتوحات الإسلامية،ط١،شركة المطبوعات للتوزيع ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م.
- بن عميرة محمد ،الفتح الإسلامي لبلاد المغرب،ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية ، ٢٠١٧م .
- عمر، أحمد مختار ،النشاط الثقافي في ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي، ط١،دار الكتاب، بيروت ـ لبنان،١٩٧١م.
- غرايبة،عبد الكريم، محاضرات مادة تاريخ العرب الحديث لطلبة الماجستير،الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم تاريخ،١٩٨٧م.
- غلاب ،عبد الكريم ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط١، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الفقهي، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ،١٩٩٠م.
- لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم،ط١،مطبعة البحث قسنطينية ، الجزائر ،١٩٦٩م.
- الملاح، محمود، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، حققها، أبو الفياض الرحماني،(بلا. د. ن)،(د. م)،(د.ت).
- المدني: أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،١٩٨٦م.
- مؤلف مجهول ،حدود العالم بين الشرق والغرب ،تحقيق: يوسف الهادي،الدار الثقافية ، القاهرة ،١٩٩٩ م.
- مؤنس ،حسين ،فتح العرب للمغرب، ط١،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٤٧م .
- نبيلة، محمد حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة كريديه، بيروت،١٩٨٢م.
- ي. أ. بلياييف، العرب والإسلام والخلافة العربية ،ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة محمود زايد،ط١،الدار المتحدة للنشر ،بيروت ـ لبنان،١٩٧٢م.

ثالثا–: الرسائل الجامعية

- مدلل، شادي ابراهيم عبد القادر، السبي في صدر الإسلام، رسالة ماجستير منشورة،(نابلس – فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا،٢٠١٠م).

رابعا–: بحوث ودوريات

- الجنحاني ،د. الحبيب، نظام ملكية الارض في المغرب الإسلامي في القرون ١–٦هـ/٧–١٢م،(دراسات تاريخية)، (مجلة)، دمشق، العدد(٥)، رمضان،١٤٠١ هـ/ تموز١٩٨١م.
- عميرة ،بن محمد ، موقف الكاهنة من الفتح الاسلامي' مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ . جامعة الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العدد الثاني،١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.

خامساً–: المراجع الفرنسية

- Maurice EISENBETH,les Juifs esquisse histoirique depuis les origins jusqu'a nos jours ,Encyclopedie ed l'emire francais,paris 1948,T1,p.148-149